Route Educational & Social Science Journal
Volume 6(2) ; January 2019

مصطفى اسماعيل ودوره في سقوط تونس ١٨٥٣-١٨٨١

Mustafa Ismail and his role in the fall of Tunisia 1853-1881

أ.م.د.سعد توفيق عزيز البزاز

Dr. SaadTawfiq Aziz Al-Bazzaz

جامعة الموصل/كلية الآداب/قسم التاريخ

University of Mosul / Faculty of Arts / History Department

الملخص

مصطفى اسماعيل من الشخصيات البارزة في تاريخ تونس الحديث فهو احد وزراء تونس في القرن التاسع عشر ،وقد تقلد عدة مناصب وزارية في عهد الباي محمد الصادق الى ان اصبح رئيساً للوزراء ،كان له دور في عرقلت خطا الاصلاحات التي قام بها خير الدين باشا ،وارهق اقتصاد البلاد من خلال اتباع سياسة التبذير والاسراف ،والتعسف في جباية الضرائب تجاه اهل تونس، مكللاً اعماله بتسليم تونس على طبق من ذهب الى المحتل الفرنسي.

فالمحتل والمستعمر الفرنسي لم يأتي من فراغ او مرسلاٍ قواته العسكرية مباشرةً الى ارض تونس بل سعى الى اغراقها بالقروض والديون الخارجية ليستحوذ على مقدراتها الاقتصادية مستغلاً مشكلة الاقليات مطالباً الحكومة التونسية بالعدالة والمساواة متفقاً مع بعض القبائل التي تقطن الحدود بين الجزائر وتونس ليثيروا القلاقل ويعطوا الحجة لفرنسا لبسط الامن ،فضلاً عن ضعف وعدم كفاءة الباي والنخب الحاكمة التي كانت تسيطر على مقاليد الحكم في تونس فكان هم الباي كيف يمكنه جعل الحكم وراثياً في اسرته اما الوزير مصطفى اسماعيل ،فقد استغل الفرنسيون جهله وحبه للسلطة والمال فكان يتصور انه بمجرد دخول تونس تحت الحماية الفرنسية فان فرنسا لم تنسى معروفه ويصبح مباشرة بايا لتونس ،فاتفق مع قنصل فرنسا على شروط ادخال تونس تحت الحماية الفرنسية مقابل خمس ملايين فرنك فتم احتلال البلاد عام ١٨٨١.

Abstract

Mustafa Ismail is one of the prominent figures in the history of modern Tunisia. He is one of the ministers of Tunisia in the 19th century. He held several ministerial posts during the reign of Ali Mohamed Sadiq until he became prime minister. He played a role in obstructing the reforms carried out by Khairuddin Pasha. The country through the policy of waste and extravagance, and arbitrariness in the collection of taxes towards the people of Tunisia, making his work to hand over Tunisia on a plate of gold to the French occupier. The French occupier and colonialist did not come from a vacuum or send his military forces directly to the land of Tunisia, but sought to sink them with loans and foreign debts to seize their economic capabilities, exploiting the problem of minorities and demanding the Tunisian government justice and equality in line with some tribes that live in the border between Algeria and Tunisia. Security, as well as the weakness and inefficiency of the Bey and the ruling elites who controlled the reins of government in Tunisia were the Bay how he could make the ruling genetically in his family, Minister Mustafa Ismail, the French exploited the ignorance and love of power and money He imagined that once Tunisia entered under the protection of France, France did not forget the known and become directly Baye to Tunisia, agreed with the consul of France on the conditions of the introduction of Tunisia under French protection for five million francs was conquered in 1881.

المقدمة:

تعد شخصية مصطفى إسماعيل الشخصيات البارزة في تاريخ تونس الحديث فهو أحد وزراء تونس في القرن التاسع عشر ،قد تقلدعدة مناصب وزارية في عهد الباي محمد الصادق الى ان أصبح رئيساً للوزراء ،كان له دور في عرقلةخطا الاصلاحات التي قام بها خير الدين باشا ،وارهق اقتصاد البلاد من خلال اتباع سياسة التبذير والاسراف ،والتعسف في جباية الضرائب تجاه اهل تونس، مكللاً اعماله بتسليم تونس على طبق من ذهب الى المحتل الفرنسي عام ١٨٨١م.

تناول البحث خمسة محاور اساسية :فالمحور الاول تناول اوضاع تونس الداخلية من عام ١٨٥٥-١٨٧٧ حيث الخطوات الاصلاحية التي قام بها بايات والاصلاحيين في تونس وخشية الدول الاوربية وخاصة فرنسا من تلك الاصلاحات التي قد تؤثر على مصالحهم في منطقة المغرب العربي عامة وتونس خاصة ،وسعي تلك الدول الى اغراق تونس بالاستدانة والقروض الخارجية ليسهل السيطرة عليها ،فحكم تونس في تلك الحقبة احمد باي وصولاً الى محمد الصادق الذي قاد البلاد نحو الهاوية هو ووزيره مصطفى اسماعيل، ليتحدث المحور الثاني عن ثقافة مصطفى اسماعيل وصفاته ليدخل المحور الثالث ويستعرض اجراءاته في عرقلة الاصلاحات التي قام بها الوزير خير الدين باشا ويدخل البلاد في فوضى ومديونية خارجيةوهو المحور الرابع، ليصل مصطفى اسماعيل الى غايته ويسلم تونس الى المحتل الفرنسي وهو المحور الخامس.

مدخل:

أصبحت تونس تابعة للدولة العثمانية بعد فرض السيادة عليها منذ عام ١٥٧٤، واستمرت تابعة للحكم العثماني بشكل مباشر حتى مطلع القرن الثامن عشر حيث أسس الحكم المحلي منذ عام ١٧٠٥ بقيام النظام الحسيني الذي استمر حتى عام ١٩٥٦ ،اذ حكمت البلاد بشكل شبه مستقل عن الدولة العثمانية من خلال بايات الاسرة الحسينية حيث عاشت البلاد مرحلة من التقدم الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي ولاسيما في أواخر القرن الثامن عشر وحتى مطلع القرن التاسع عشر ،اذ بدأ في تونس منذ عام ١٨١٥ استقرار فرنسا وأوربا بعد الحرب النابليونية وحتى فرض الحماية- الاحتلال –الفرنسي على تونس فقد عانت البلاد من ظروف سياسية واقتصادية داخلية وخارجية ،قادت الى تدخلات أجنبية فرنسية لاسيما في الوضع السياسي والاقتصادي خاصة [١].

ومن الجديد بالذكر ان تونس وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر عانت من مشكلات داخلية متنوعة ،وقفت على راسها المشكلة المادية وما قادت اليه من مديونية ساهمت في النهاية الى التدخل

(١)محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس ، سراس للنشر ،(تونس، ١٩٩٣)، ص٨١-٩٥.

المباشر للقوى الاوربية الطامعة فيها خاصةً فرنسا فأضعفت تلك المشكلة وغيرها من المشاكل الداخلية من قوة تونس وقادتها الى الرضوخ لأطماع فرنسا[٢].

أوضاع تونس الداخلية ١٨٥٥-١٨٧٧:

اصبح محمد احمد بايا على تونس عام ١٨٥٥ بعد وفاة ابيه ولم يكن اصلاحياً كأبيه الا ان الاصلاحيين "خير الدين باشا[٣] ومحمود قبادو[٤]" اقنعوه بضرورة اصدار نظم اصلاحية لتحسين احوال البلاد والعباد وترتيب هيكلية الدولة ،فبدأ بتشريع نظم مالية وادارية وعمرانية ،سعى الى تغيير اساليب الادارة وتشجيع التجار الاجانب الا ان هذه المحاولة زادت من التدخل الاجنبي وعمل على تحديث الجيش لغرض اجتذاب تأييد اصحاب الافكار الجديدة وتثبيت جذور الولاء للحكم لدى جميع فئات الشعب قام بإعلان اصلاح على غرار الاصلاح العثماني ودون مبادئه في وثيقة عرفت بأسم (عهد الامان)، وقصة هذا العهد ان رجلاً من اليهود التوانسة قام بقتل رجل مسلم ،فقامت السلطات بإعدام القاتل مما اثار ذلك غضب فرنسا وبريطانيا[٥].

لقد كان عهد الامان ثمرة جهود الاصلاحيين التونسيين وعلى راسهم خير الدين باشا وقد استوحى الكثير من القوانين وتنظيمات الدولة العثمانية خاصة خط شريف كولخانة ١٨٣٩ وخط شريف همايون ١٨٥٦ اذ يوجد تشابه كبير في مضمونها في الحرية والمساواة ،ثم تولى الحكم بعد محمد باي الباي محمد

(٢)نهاية محمد صالح الحمداني، الحركة الوطنية التونسية ١٨٨١-١٩٢٠، دار المعتز للنشر والتوزيع،(عمان،٢٠١٦)ص٩.

(٣)خير الدين باشا التونسي ١٨١٠- ١٨٨٩ ولد في القوقاز من عائلة شركسية استقدم مملوكاً الى استنبول وارسل الى تونس ليدخل في خدمة احمد باي ،تربى تربية دينية ،وتعلم اللغة الفرنسية والعربية ثم عمل في ميدان الجيش وتفرغ للسياسة ،كان من المتنورين وزعيماً للاصلاحيين . للمزيد ينظر: عصمت برهان الدين عبد القادر، العرب والمسالة الدستورية في الدولة العثمانية ١٨٧٦-١٩١٤، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدم الى مجلس كلية الاداب، (الموصل،١٩٩٥)،ص٥٥.

(٤)محمود قبادو: ولد في تونس عام ١٨١٤ وتلقى تعليمه بها، قام بتدريس اللغة العربية وتنقل ما بين توني واستنبول ، فضلاً انه كان من رجال الدولة الاصلاحيين فهو اديب وشاعر واستاذ .للمزيد ينظر: الموسوعة العربية الميسرة ،اشراف محمد شفيق، دار القلم (القاهرة، ١٩٦٥)،ص١٦٤.

(٥) عهد الامان: وهو القانون الذي صدر عام ١٨٥٧ قام احمد بن ابي الضياف بوضعه ، تضمن المساواة بين السكان سواء كانوا مسلمين او غير مسلمين ،ولا يجبر احد على تغيير دينه، فضلاً عن ممارسة الطقوس الدينية بحرية. للمزيد ينظر: احمد بن ابي الضياف، اتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان، منشورات الجامعة التونسية،ج٤، (تونس،١٩٧١)، ص٨٨-٨٩.

الصادق عام ١٨٥٩ وكان اصلاحيا ابتدأ عهده بإصدار الدستور (وهو القانون الاساسي للبلاد) عام ١٨٦١ وبموجبه اصبح حاكماً دستورياً لتونس وحددت صلاحياته بموجب هذا الدستور[٦].

ان الحركة الاصلاحية لقيت معارضة من قبل علماء الدين الذين عملوا على اثارة الشعب ،كما انها لقيت معارضة من القوى الاستعمارية الكبرى (فرنسا وايطاليا) حيث رأت في الاصلاحات الجارية في تونس مايهدد نفوذها ومصالحها ويتبين ذلك في مقولة لويس نابليون رئيس فرنسا حينما عرض عليه عهد الامان قال: ((اذا تعود العرب على الحرية والعدالة فلن يكون بيننا وبينهم سلام))[٧].

استحدث محمد الصادق وزارات منها المالية والعمل والخارجية وانشاء مرافق خدمية كمشروع سكك الحديد وخطوط التلغراف وتنظيم الجيش، الا ان تلك الاصلاحات قامت بإستنزاف موارد الدولة المالية حيث اعتمد على الرأسمال الاجنبي والقروض التي عجزت تونس عن تسديدها ،حيث كان خير الدين باشا معارضاً للتبذير والفساد الذي استشرى بين مفاصل الدولة الا ان معارضته لم تجدي نفعاً فإضطر الى الاستقالة عام ١٨٦٢ ،فساءت احوال تونس الاقتصادية اكثر فأكثر وعجزت الدولة عن دفع رواتب الموظفين فلجأت الدولة الى مضاعفة ضريبة المجبى (وهوضربة تأخذ على الافراد بعد بلوغهم سن ١٨ سنة) فاندلعت ثورة شعبية بقيادة علي بن غذاهم عام ١٨٦٣[٨]، وكاد الثوار ان يستولوا على تونس لو لا تدارك الباي محمد الصادق بامتصاص نقمة الثوار عن طريق تخفيض الضرائب والغاء قانون الاصلاحات واستمر الوضع الاقتصادي بالتدهور الى حد اضطرت الخزينة التونسية الى الحصول ضرائب من الفلاحين والحرفيين ،وانتشرت الامراض والاوبئى وتدهور الانتاج الزراعي والصناعي وارتفعت الاسعار واضطرت الحكومة الى التوقف عن دفع اقساط الديون وحل الافلاس المالي بتونس عام ١٨٦٧[٩].

---

(٦)عبد القادر ،المصدر السابق،ص٥٦-٥٧.

(٧)محمد يوسف نحلة ،تطور الحركة الوطنية في تونس ١٨٨١-١٩٥٦، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى معهد الدراسات القومية والاشتراكية،(بغداد،١٩٨١)،ص٣٨.

(٨)ب سلامة، ثورة بن غذاهم، دار الكتب التونسية للنشر، (تونس،١٩٦٧)،ص٣٢-٣٥.

(٩) الحمداني، المصدر السابق،ص٢٢.

ومع استمرار البذخ والتبذير استمر تغلغل الرأسمال الاجنبي بالتغلغل كما يذكر الدكتور عصمت برهان الدين فبدأت تونس تدخل طوراً من الضعف الاقتصادي الذي لم تسعفه القروض مما قاد تونس نحو الافلاس عام ١٨٦٧ ووضع موارد تونس تحت السيطرة الدولية عن طريق لجنة مالية دولية وخاصة فرنسا وبريطانيا للايفاء الديون التي بذمة تونس ،فبدلاً من اصلاح اوضاع تونس الاقتصادية قام الباي محمد الصادق بالذهاب الى استنبول للمطالبة بجعل الحكم وراثياً لعائلته ،وفعلاً وافق السلطان العثماني على ذلك واصبح خير الدين باشا رئيساً للوزراء عام ١٨٧٣. حاول خير الدين باشا انقاذ مايمكن انقاذه عن طريق الاصلاح الاداري وتقديم الخدمات الادارية وانشاء المدارس وتحديث التعليم وتطوير صحيفة الرائد التونسي وتحديد مرتبات القصر واحياء الصناعات المحلية وتنظيم الاوقاف والقضاء وتخفيض الضرائب ومحاولة توطين البدو الا ان تلك الاصلاحات لم ترق للكثيرين ومنهم الباي نفسه ومصطفى اسماعيل فما كان من خير الدين ان قدم استقالته من منصبه عام ١٨٧٧[١٠].

اصابت تونس نكسة بتخلي خير الدين باشا عن منصبه وتولي مصطفى بن اسماعيل رئاسة الوزارة ،فأخذت احوال تونس تسوء اكثر فأكثر وعادت سياسة التبذير والاستدانة من جديد ،وعاد الباي الى الاستدانة من فرنسا وبريطانيا وايطاليا ،واشتد التنافس بين تلك الدول على النفوذ الاقتصادي وخاصة بين فرنسا بحكم وجودها بالجزائر وايطاليا بحكم قرب اراضيها من تونس ، وكان على كلا الدولتيين ان تجد التأييد الدولي لتحقيق اطماعها نظراً لاهمية تونس الجغرافية[١١].

وهنا يجدر بنا البحث في شخصية مصطفى اسماعيل الذي كان له دوراً فاعلاً في تدمير ميزانية تونس وان يقودها الى الهاوية بل اكثر من ذلك فقد ساعد الفرنسيين على احتلال تونس ،ولابد لنا كذلك من البحث عن السبب الذي جعل الباي محمد الصادق ينقاد له ويستمع له ، لعل خلف ذلك كله تكمن العديد من الاسباب؟؟؟

(١٠) عبد القادر، المصدر السابق،ص٦٠-٦٢.

(١١)الحمداني ،المصدر السابق،ص٢٩.

مصطفى اسماعيل حياته وصفاته:

ولد مصطفى إسماعيل عام ١٨٥٣ ،كانت امه يهودية من مدينة بنزرت واسلمت في بيت اسماعيل ،تزوجها وسماها منانة ثم ماتت ومات اسماعيل ،ولما بلغ عمر مصطفى ثمانية سنوات كان شغله الشاغل التسكع في شوارع تونس رث ممزق الثياب يلتقط اعقاب السكائر في المقاهي الاوربية ،ثم عمل خادماً بخمارة لاحد رعايا جزيرة مالطة بتونس ،واستمر في عمله ذلك حتى عمل معاوناً لاحد الحلاقين في دكان بسوق البلاط في العاصمة تونس.

طلب امير لواء العسة علالة بن فريجة غلماناً يخدمون الباي، اخذه محمد الصادق باي وصار من خدمه وقربه ورقاه الى رتبة امير لواء مع انضمام رتبة امير لواء ثانياً في عسته العسكرية الخاصة ،وهي وظيفة مقصورة عليه ،وهو متواضع بشوش كثير التردد والزيارة للصالحين شديد الاعتقاد بهم ،ينتمي الى علوم الحدثان شره على الاشياء الجديدة كثير الانفاق على مايعود الى ذاته وملذاته محب لتجميل نفسه بالثياب والمجوهرات حتى تعددت الخواتم في اصابعه وعلى صدره وسلسلة ساعته عارفاً بأخلاق سيده ملائماً في سيرته معه لمرضاته حتى تمكن من ميله اليه واشتدت رغبته في استرضائه الى ان قدمه على معاصريه وابناء جنسه ثم رقاه الى رتبة الفريق ،وتدرج الى خزندار (مسؤول الخزينة) وسمي عاملاً على الوطن القبلي ثم ولي وظيفة صاحب الطابع ووزيراً للبحر[١٢].

في عام ١٨٧٨م ترقى مصطفى اسماعيل الى الوزارة الكبرى (اي رئيساً للوزراء)،حيث سعى اليها سعياً حثيثاً بشتى الطرق الوضيعة ،كان متعجباً من تحقيق امنيته في ولاية هذه الوزارة حتى قال ليلة ولايته: ((لعلالة ابن الزاي "وهو خادمه" اني لم اصدق نفسي اني وليت خطة الوزارة الكبرى)) ،وبقي اياماً كثيرة يعيد مثل ذلك ونقل لجلسائه ان ولي العهد علي باي لما حضر عند اخيه قال له: ((اليوم امنا على كرسينا وهذا الولد من تربيتك فاذا استعصى عليك في شيء ادخله مقصورتك واضربه بيدك واقرصه من خده فانه

(١٢)البشير الحاج ابن عثمان الشريف، اضواء على تاريخ تونس الحديث ١٨٨١-١٩٢٤،دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، (تونس، د.ت)،ص٨.

يبكي او لا وبعد ذلك يقبل يدك ويفعل ماتريد . فقال الباي ورحمة اسيادي ان هذا الامر في بالي منذ سنين)) [١٣].

ليس من المبالغة في شيء عندما نقول بأن مصطفى بن اسماعيل كان يتصف بانحطاط الاخلاق والشذوذ والسذاجة الى حد بعيد ،وهناك قصة رواها علي بن الزاي جاء فيها: ((ومن اغرب مايحكى من افعال هذا الوزير الغدار ان ذات يوم ماكث انا وهو في داره نتذاكر في سياسة الملوك واخلاقهم حتى وصلت الى سيدنا "دام علاه" في اخلاقه الحسنى معه ومحبته فيه .فبينما نحن خائضين في ذلك فاذا بعجوز دخلت علينا وبيدها كانون صغير به مجمرة وضعته امامنا وخرجت .فقلت له ماهذاياسيدي .قال لي انظر مانصنع. فسكت فقام ودخل الى مقصورته ونزع ثيابه وبيده موس حلاقة وصار يحلق عانته وفي ابطه وقص شعر مابين عينيه ،واخذ مقصاً وصار يقلم اظافره كلها ، ووضع ذلك في خرقة زرقاء وربط عليها رباط محكم ووضعها في ذلك المجمر الى ان صارت رماداً، فأخذها ووضعها على رخامة خزانة بالبيت وحل سرواله وجلد عميره واخذ منيه ووضعه على ذلك الرماد وخلطه وصار يكركبه ووضعه ولبس حوائجه وجلس على كرسي وانا ماكث معه .ارى العجب فسألته ماهذا يا سيدي قال: هذا امر مجلب للمحبة (اي نوع من انواع السحر) وإنا نريد ان نطعم سيدنا منه ليزداد محبة لاني اريد ان اطلب منه مطلباً والمطلب صعباً لايصير الا اذا اعميت على قلبه وعلى سمعه وعلى بصره حتى يستجاب لي ذلك، فسألته عن المطلب فاجابني بقوله: اريد ان يخلفني في حياته خلافة الملك مثل دعاة الملوك الذين يخلفون اتباعهم)) [١٤].

إجراءات مصطفى اسماعيل في عرقلة الاصلاحات:

حينما تولى خير الدين باشا التونسي، منصب الوزير المباشر قام بالعديد من الاصلاحات منها اتمام وتحسين العلاقات مع الدول الاوربية وعقد المعاهدات بما يتوافق مع مصلحة تونس ويوضخ كتاب ((اقوم

(١٣) الشريف، المصدر نفسه ،ص٩.

(١٤)نيقولا زيادة ، تونس في عهد الحماية من ١٨٨١-١٩٣٤، معهد الدراسات العربية العالمية،((مصر، ١٩٦٣)،ص٤٢-٤٣؛ المصدر نفسه ،ص١١

المسالك في معرفة احوال الممالك)) نموذج للسياسة الاصلاحية المتبلورة في خطاب خير الدين باشا فهي شهادة يقدمها مفكر وسياسي مارس الحياة السياسية والعمل الدبلماسي ، فقد حاول التفكير في اشكالية عصره وهي تجاوز التخلف والتاخر والجهل والاستبداد والضعف ، فشهادة خير الدين باشا تقدم موقفاً من احوال تونس التابعة للدولة العثمانية والخاضعة لضغوط الفرنسيين تصوغ موقفاً من ثلاثة محاور رئيسية :

١.الاوضاع السياسية وسبل اصلاحها .

٢.التمدن الاوربي وكيفية مجاراته ومواجهته.

٣.تقرير عن المكتشفات والمخترعات الاوربية المساهمة في تأسيس التمدن.

هذه المحاور المعلنة ،وهي تتضمن تفريعات تحدد معطيات جزئية حول ضرورة التنظيمات من أجل الاصلاح السياسي ،وبعض المعطيات الوصفية حول القوة الاوربية والعوامل المتعددة التي ساهمت في تشكيلها منذ القرن الرابع عشر الى التاسع عشر الميلادي، وقد اوضح خير الدين باشا في مقدمته على ضرورة التنظيمات السياسية كوسيلة للحد من الاستبداد والظلم وكوسيلة للترتيب والنظام والاقتصاد والادارة والجيش ويقول خير الدين باشا: ((وحيث تقدم بيان الادلة الكافية لوجوب التنظيمات السياسية التي لو لم يكن الا تنفير الاجنبي والمتوظفين منها لكان كافياً في الدلالة على حسنها ولياقتها بمصالح المملكة ،كان من اهم الواجبات على امراء الاسلام ووزائهم وعلماء الشريعة الاتحاد في ترتيب تنظيمات مؤسسة على دعائم العدل والمشورة ،كافلة بتهذيب الرعايا وتحسين احوالهم على وجه يزرع حب الوطن في صدورهم ويعرفهم مقدار المصالح العائدة على مفردهم وجمهورهم))[١٥].

لقد بدت المقدمة التي قدمها خير الدين باشا كإطار نظري عام يسعى لتبرير وقائع باشرتها السلطة العثمانية (ويقصد هنا خط شريف كولخانة ١٨٣٩ وخط شريف همايون ١٨٥٦) وباشرها بايات تونس كمحاولات لاحداث بعض التجاوب والتوازن مع مقتضيات احوال الوقت وهي اساساً مقتضيات الزمن الاستعماري، وهنا لايفوتنا ذكر ان التنظيمات الاصلاحية التي انجزتها الدولة العثمانية كانت تهدف الى

(١٥)عبد القادر جغلول ،الانتلجانسيا في المغرب العربي ،دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع،(بيروت،١٩٨٤)،ص٨٨-٨٩.

اعطاء بعض الصلاحيات للجاليات الاوربية .لقد تحمس خير الدين باشا الى التنظيمات بحس رجل دولة وكتبها بلغة المفكر وحاور من اجلها وفي سبيلها كل المناوئين لها ابتداءاً من الفقهاء الى الموظفين المتنفذين وسعى جاهداً لتوضيح مسألة نظرية وهي تأكيده على عدم تناقضها اي التنظيمات الاصلاحية مع الدين والشرع [١٦].

قام خير الدين باشا توحيد الاحكام في المملكة ووضع اول مجلس صحي ،واحدث ادارة للاوقاف العامة بنظام اداري محكم ،وشجع السكان على الزراعة وخاصة الزيتون ،وقام بتوزيع الاراضي على صغار الفلاحين ،واهتم بالتعليم فقام بتأسيس المدرسة الصادقية ،وقام بتنمية التجارة الوطنية ،غير ان هذه الاصلاحات لم تخلو من العقبات والمعارضات لاسيما من تدخل مصطفى اسماعيل الذي له حظوة كبيرة عند الباي وما وصل به من تقلد الوظائف العالية (وزيراً للبحر ووزيراً للشورى وغيرها) على مافيه من عدم الكفاءة وقلة الخبرة بالامور السياسية فضلاً عن قيام مصطفى اسماعيل بتأليب الباي وشيوخ وعلماء الدين ضده ،فاضطر خير الدين باشا التونسي الى التخلي عن منصبه بعد ما عرف عنه بمزاياه الشريفة واخلاصه في العمل لصالح تونس ،وتقدم بدله للوزارة مصطفى اسماعيل ،ومنذ ذلك الحين اضطربت الحكومة من الداخل والخارج وكثرت المشاكل بدسائس بعض القناصل وطمعت الدول الاوربية بتونس واصبحت البلاد بلا ربان وسط البحر الذي يتلاطم فيه الامواج [١٧].

ويذكر الدكتور احمد الطويلي : ((ان خير الدين باشا سئم تدخل مصطفى اسماعيل وبلوغه حظوة عند الباي ما وصل به الى تقلد الوظائف العالية وتقلد وزارة البحر وغيرها على ما فيه من عدم الاهلية والجدارة والخبرة بالامور السياسية سيما في ذلك العهد فإضطر خير الدين الى التخلي عن منصبه السامي بعد ان عرف بمزاياه الشريفة ولقب الناصع الامين وانفصل عن الدولة سنة ١٨٧٧)) [١٨].

([١٦])معن زيادة، اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ،لخير الدين باشا ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،٠(بيروت،١٩٨٥)،ص٩٣-ومابعدها.

([١٧]) حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس ،دار الكتب العربية الشرقية، (تونس، د.ت)ص١٧٦-١٧٧.

([١٨])احمد الطويلي، دراسات ووثائق عن الحركة الاصلاحية بتونس، سعيدان للطباعة والنشر، (تونس،١٩٩٢)،ص٢٩.

دور الباي ومصطفى اسماعيل في ارهاق تونس:

كانت تونس تعيش منذ عام ١٨٣٠م ازمة اقتصادية خطيرة ففي عام ١٨٦٣ اثقلت كاهل المواطن التونسي بالضرائب ، وكانت باقي الضرائب مسلطة على كل شيء مثل الملح والتبغ والشموع والجلد والاغنام والبغال والمغنيين والموسيقيين والمومسات ،وفرض المكس على كل معاملة ،في حين كان الاقتصاد الراسمالي في الدول الاوربية يتقدم بخطاً سريعةً ويذكر الدكتور الهادي التيمومي: ((ان تونس اقترضت من الدول الاوربية عام ١٨٦٥ قرضاً بفائض مرتفع بلغ عشرة ملايين وثلاثمائة وخمس وستون الف فرنك والتزمت تونس باعادة المبلغ ٢٧ مليون فرنك خلال خمسة عشر سنة))[١٩]،الا ان تونس وهي حديثة العهد بالقرصنة وتجارة الرقيق بقيت بلاداً فلاحية متأخرة ،تعاني منافسة البلدان المتقدمة ،وقد كان الغاء الرق ضربة قاسية لنشاط القوافل التجارية ذلك النشاط الذي ترتزق منه قبائل الجنوب الرحل كما اصبحت الصناعات التقليدية بالمدن تعاني الامرين من جراء المزاحمة الاوربية التي اخذت تنمو في تونس بفضل الامتيازات الاجنبية التي ينعم بها الاستيراد واخذ استيراد المنسوجات القطنية البريطانية يمحو من مدينة سوسة تدريجياً صناعة النسيج التي كانت تملأ المدينة في القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر وفي الجنوب كان الافلاس نصيب اصحاب الصناعات بقابس وجربة ونفزاوة واصبح الجلد والشاشية والمنسوجات الصوفية والحريرية تستورد من الخارج وكان في رواج البضائع الحديدية والاسلحة والحلي الاوربية افلاس اصحاب الصناعات المعدنية. هذا وقد منيت التجارة عن طريق المراسي بالساحل ببعض الانحطاط فقد صارت البضائع السودانية تنصرف عن صفاقس متجهة صوب سواحل الخليج الغيني والمحيط الاطلنطي ،واصبح كل شيء ينتقل الى ايدي الاوربيين ففي سوسة مثلاً لم تعد تجد مؤسسة تجارية واحدة غير اجنبية .وكانت تونس متضررة من جراء تأخرها الفني ،فلم يكن زيت الساحل الذي يصدر خاصة الى مرسيليا يستعمل الا لمقاصد صناعية كصناعة الصابون او الاضاءة نظراً لردائة صنعه ،لكن تونس الخضراء البلاد الفلاحية قبل كل شيء كانت تتألم وتعاني بالخصوص في هذا ميدان من تقنيات متأخرة و طرق زراعية

(١٩)الهادي التيمومي، تونس والتحديث، دار محمد علي للنشر، (تونس،٢٠١٠)،ص١٧٧.

بدائية ،فضلاً عن ظروف مناخية غير مستقرة مثل امطار غير منتظمة ،فكل هذه الامور مجتمعة لم تكن لتسمح الا بمنتوج ضعيف[٢٠].

كان في انتشار مرض الطاعون ،والمحاصيل الضعيفة المنتوج مصيبة يصعب تحملها مع قلة النقود الذهبية والفضية وتقلصها بسبب نقل الاموال خارج تونس لدفع ثمن البضائع المستوردة فعملت الحكومة على اصدار النقود النحاسية بكثرة ادى بالنتيجة الى حصول ازمة تضخم نقدي خطير افضت الى انخفاض قيمة الريال التونسي من ١٠ ريال الى واحد فرنك عام ١٨٥١ الى ٦٠ ريال الى واحد فرنك عام ١٨٦٠. اما الحكومة التونسية فكانت في ذلك الوقت بعيدة عن التفكير في مساعدة واعانى الاهالي على تذليل الصعوبات الاقتصادية اذ كان همها ان تبتز اموالهم الى اقصى حد[٢١].

وقد وصل للباي محمد الصادق ووزيره مصطفى اسماعيل سوء الاحوال الاقتصادية فتلك الازمة وصلت الى قصر الباي نفسه ،فالدكتور هادي التيميومي يذكر في مخطوطة حول سيرة الوزير الاكبر مصطفى اسماعيل: ((في العشر الاواخر من كل شهر لايجد بدار الباي مايقتاتون به، فاكثرهم يأتون بأطعمهم من ديارهم (اي عمال القصر) او يشترونها من السوق ...اما في اثناء الشهر ،فلا سبيل لشراء شيء من لوازم الاكل . حتى ان الباي نفسه اذا اشتى شيئاً .يجاب بأن ذلك غير موجود ...ان كسوة حوتم سرايا الباي من النساء والرجال تبلغ في الصيف الى ثلاثين الف ريال وفي الشتاء مائة وثمانين الف ريال ،وبعد ذلك لاينال شيئاً حتى الباي نفسه ،حتى اذا لم يحافظ على ثيابه ،يضطر الى ترقيعها وخياطتها بنفسه...))[٢٢].

(٢٠)الحبيب ثامر ،هذه تونس، مكتبة المغرب العربي،(القاهرة،١٩٤٨)،ص٢٣-٢٥.

(٢١)الطاهر عبدالله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة ١٨٣٠-١٩٥٦،دار دار الطليعة،(بيروت،١٩٧٤)،ص٢٣-٢٧.

(٢٢)التيمومي، تونس والتحديث، المصدر السابق،٢٤٨.

إحتلال تونس ودور مصطفى اسماعيل فيه:

بلغت مديونية تونس حوالي ٢٥ مليون فرنك جعل فرنسا الى وضع يدها على تونس .وكان المحفز لها مؤتمر برلين الذي انعقد في الثالث عشر من حزيران عام ١٨٧٨ ،وكان كالضوء الاخضر الذي أعطته الدول الاستعمارية وخاصة بريطانيا والمانيا ، لفرنسا لاحتلال تونس[٢٣]. فتخلت بريطانيا عن أطماعها في تونس مقابل اعتراف فرنسا بسيطرتها على جزيرة قبرص ،وقد صرح بذلك وزير خارجية بريطانيا اللورد سالسبوري لنظيره الفرنسي دانقتون بقوله: ((احتلوا تونس ان شئتم ،فانكلترالاتمانع في ذلك بل تحترم قراراتكم)).فيما كان الدعم الالماني لفرنسا عندما أيد المستشار الالماني بسمارك المقترح البريطاني[٢٤]رامياً وراء ذلك منح التعويضات لفرنسا بهدف صرف أنظارها عن فكرة الاخذ بالثأر لحرب السبعين[٢٥]. ومن جانب آخر فان ايطاليا ماكانت لتتخلى عن أطماعها في احتلال تونس، الا أنها لم تتلق دعماً فعلياً من أحد ، اذ عارضت بريطانيا تدخل ايطاليا في تونس ،لانها تمكنهم من مراقبة حوضي مضيق صقلية وتمكنهم في النهاية من قطع طريق الهند(درة التاج البريطاني) الذي أصبح يمر بالبحر المتوسط منذ فتح قناة السويس عام ١٨٦٩[٢٦]،وبالرغم من تأييد المانيا لفرنسا لاحتلال تونس الا أن الرأي العام الفرنسي وعدداً كبيراً من السياسيين الفرنسيين ،عدو تأييد بسمارك للتدخل الفرنسي في الشؤون التونسية مناورة يقصد بها تعكير العلاقات الفرنسية وبالذات مع ايطاليا وعزل فرنسا على الصعيد الاوربي[٢٧].الا أن فرنسا وافقت على مقررات مؤتمر برلين لان ذلك سيؤدي الى اعادة التوازن في البحر المتوسط ،ويمكنها من الحصول على موارد

(٢٣)صلاح العقاد ، المغرب العربي الجزائر –تونس–المغرب الاقصى، مكتبة الانجلو المصرية ،(القاهرة ،١٩٦٩)،ص١٨٩.

(٢٤)علي المحجوبي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تعريب عمر بن ضو و حليمة فرفوري ، سراس للنشر،(تونس،١٩٨٦)،ص٣٥.

(٢٥)حيث وقعت حرب بين فرنسا والمانيا ،خسرت بموجبها فرنسا مقاطعتي الالزاسواللورين عام ١٨٧٠ وضمت الى المانيا.

(٢٦)نيقولا زيادة، تونس في عهد الحماية ١٨٨١–١٩٣٤،معهد الدراسات العربية ،دار الرائد للطباعة ،(القاهرة،١٩٦٣)،ص١٢٣؛ احمد عبد الوهاب عبد الرحمن، تاريخ العرب الحديث (١٧٩٨– ١٩٢٠) دراسة في التنافس الاوربي على البلاد العربية، دار القلم، (الامارات،١٩٨٧)، ص٢٨٧– ٣٠٣؛ عبد الوهاب ،المصدر السابق، ص٧١

(٢٧)اذ تحدث لوتسكي عن مطامع فرنسا وايطاليا في تونس ،و ان أي تدخل من جانب فرنسا في تونس ربما يؤدي الى قيام الحرب بينهما ،لوجود مصالح ايطالية مهمة في تونس لاتقل أهمية عن المصالح الفرنسية ،كما سنلاحظ في الفصل القادم، أنظر لوتسكي ،تاريخ الاقطار العربية، دار التقدم، (موسكو،١٩٧١) ،ص ٣٣٠.

جديدة وثروة وميدان لنشاطها الاستعماري في تونس تجدها في الراين الذي كان يدفعها صوب المانيا التي يتزايد عدد السكان فيها بسرعة [٢٨]،كما أن ذلك يطمئن تطلعاتها الاستعمارية في المغرب العربي منذ احتلال الجزائر[٢٩].

اخذ روسطان وهو ممثل فرنسا في الجزائر يخطط لغزو تونس بمشاركة مصطفى اسماعيل ،وبعد ان استقر رأيهما على استغلال حوادث الحدود بين تونس والجزائر وانتقال قبائل خمير من تونس الى الجزائر لينتقموا لاحد افراد قبيلتهم ليكون مبرراً للاحتلال وامام الراي العام الفرنسي والعالمي لم يطل بهما الانتظار حتى توغلت القوات الفرنسية عام ١٨٨١[٣٠]، قام روسطان بدوره في تمثيل مسرحية لما تظاهر بإبلاغ احتجاج حكومته لدى الباي ناسباً مسؤولية الحوادث الحدودية لسوء نية الحكومة التونسية وعجزها عن السيطرة على القبائل ،ثم حدثت حوادث اخرى كان قد خطط لها الضباط الفرنسيون بين القوات الفرنسية والقبائل التونسية استغلها قائد الفيلق التاسع والوالي العام بالجزائر ليطلب من وزارة الحرب والخارجية السماح للجيش الفرنسي بتأديب المغيرين من اهل منطقة خمير ومن جانب اخر يذكر ابن الزاي عن الوزير مصطفى اسماعيل الذي اعمته مصالحه الشخصية الى حد خيانة بلده لما سولت له نفسه الوضيعة عقد صفقة مع روسطان تمكن فرنسا من بسط حمايتها على البلاد التونسية مقابل خمسة ملايين فرنك.

اتخذت فرنسا من انتقال بعض القبائل التونسية (خمير) عبر الحدود الجزائرية ذريعة للغزو، بحجة مساندتها للثوار الجزائريين[٣١]،وقام الفرنسيون بتحريض الجالية الفرنسية داخل تونس على رفع عريضة في الرابع عشر من اذار عام ١٨٨١ الى الحكومة الفرنسية ،تطالب فيها بتدخل فرنسا السريع لضمان

([٢٨])العقاد، المصدر السابق، ص ١٩٥.

([٢٩])صالح الدربدي، المسيرى الكبرى، دار بو سلامة للطباعة والنشر، (تونس، د.ت)، ص٤٩.

([٣٠])جلال يحي ،العالم العربي الحديث، جامعة اسيوط، (مصر،١٩٦٦)،ص٦٨٨.

([٣١])محمد علي داهش دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب(دمشق،٢٠٠٤) ،ص٤١.

حقوق الرعايا الفرنسيين وأموالهم[٣٢].وعليه فقد عبرت القوات الفرنسية في الرابع والعشرين من نيسان عام ١٨٨١ من دون سابق انذار الحدود الجزائرية –التونسية [٣٣]،وكان تعدادها(٣٥)الف جندي ،وقسمت الى ثلاث اقسام كل منها تحت قيادة ضابط فرنسي ،وجميعها تحت قيادة الضابط فورجيمول[٣٤]،فاتجه القسم الاول الى الشمال الغربي لمحاصرة جبال خمير وما حولها ،أما القسم الثاني فقد اتجه نحو مدينة الكاف ودخلها بدون مقاومة نتيجة لما قام به برنارد روي [٣٥].

وفي الوقت نفسه قصف الاسطول الفرنسي بلدة طبرقة وتمكن من احتلالها ،وقام الباي محمد الصادق بجهوده في الاحتجاج لدى الدول الموقعة على (معاهدة برلين) وطلب منها التدخل لوقف الاحتلال [٣٦]،اذ قام الباي بتكليف أخيه علي بقيادة جيش لصد القوة الغازية، لكنه لم يستطع صدها ولا منعها من التقدم ،وكان الباي يأمل في تدخل الدول الاوربية الى جانبه (لكن لم يجبه أحد) .وكان يأمل في ان يفي الباب العالي بوعده بارسال الاسطول العثماني، لكن آماله باءت بالفشل[٣٧].

كان الفرنسيون يعتقدون أن أعمال الحملة في منطقة الحدود مع الجزائر ستكفي لاخافة الباي ،لكنهم أحسوا أن الباي لايوافق على الحماية ،فأرسلت فرنسا حملة أخرى أبحرت من ميناء طولون بقيادة الجنرال

---

(٣٢) نحلة ،المصدر السابق،ص٢٠.

(٣٣)علي سلطان، تاريخ العرب الحديث١٥١٦–١٩١٨،منشورات مكتبة طرابلس العالمية،(طرابلس،د.ت)،ص٥٥٣؛ صلاح الدين التلالي ،تونس الجديدة مشاكل ونظريات، عربه محمد السويس ،دار النشر بو سلامة،(تونس، ١٩٥٩)، ص٥٠–٥١؛ وعبد الكريم محمود غرايبة، تاريخ العرب الحديث، الاهلية للنشر والتوزيع،(بيروت،١٩٨٤)،ص١٨٧؛ زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،(بيروت،١٩٧٥)،ص ٥٢٣.

(٣٤)أحمد عزت عبد الكريم وآخرون، العالم العربي في العصر الحديث، طبع ونشر دار سعد، (القاهرة ،د.ت) ص٨٧.؛ زيادة ،مصدر السابق، ص١٣٢.

(٣٥)برنارد روي: هو أحد أعضاء القنصلية الفرنسية ورئيس مركز البريد هناك ،قام بجهود لحث رجال الطرق الصوفية وأصحاب النفوذ بعدم مقاومة القوات الفرنسية ، لكن هناك مصادر تشير الى حدوث قتال، وعلى العموم حتى لو كانت مقاومة فهي ضعيفة بدرت من طائفة من رجال القبائل. للمزيد انظر: عبد المجيد المطوي ،تونس وفرنسا، مكتبة النجاح ،(تونس، ١٩٥٧)،ص٤٥.

(٣٦)محمد المرزوقي ،صراع مع الحماية ، دار الكتب الشرقية، (تونس ،١٩٧٣)ص٣٦ .

(٣٧)الشريف، المصدر سابق،ص١٦.

بريار ووصلت بنزرت في الاول من ايار ١٨٨١[٣٨]،واحتلت المدينة وزحفت باتجاه العاصمة تونس حتى وصلتها في الثاني عشر من ايار ١٨٨١[٣٩]، حيث اجتمع القنصل الفرنسي روستان مع الجنرال بريار ،وسلموا للباي محمد الصادق نسختين من معاهدة كانت معدة سابقاً عرفت لاحقاً بمعاهدة (باردو)[٤٠] أو القصر السعيد ،وأعطوه فترة قصيرة للتشاور والتوقيع عليها، حيث تم ذلك في اليوم نفسه[٤١]، وهكذا خضعت تونس للاحتلال الفرنسي وتبعها في عام ١٨٨٣ نص معاهدة أخرى اعتبرت مكملة لمعاهدة باردو عرفت بمعاهدة(المرسى الكبير) [٤٢] وكان هدفها اعطاء صلاحيات أكبر لفرنسا، بمعنى تكريس احتلالها لتونس،وعليه فقد بدأت فرنسا تؤكد سيادتها وسياستها الاحتلالية في تونس، وفي المجالات كافة وطوال زمن الاحتلال.

الخاتمة:

ان موضوع الاحتلال الفرنسي على دول المغرب العربي عامة وتونس خاصة ليس غريباً عن الباحثين والقراء والمهتمين ،فحين نتناول الاحتلال الفرنسي على تونس يتبادر الى الاذهان رغبة فرنسا في توسيع رقعة سيطرتها واستعمارها لدول المغرب العربي ، للاستفادة من خيرات تلك البلدان وتصريف فائض انتاجها فضلاً عن الحمى التي اصابت الدول الاوربية في القرن التاسع عشر ان قوة الدول تكمن في عدد

([٣٨])بشير بو علي ،محاضرات في تاريخ الحركة الوطنية التونسية ،د.م، (د.ت)ص١٨.

([٣٩])يحي أبو زكريا ،الحركة الاسلامية في تونس من الثعالبي الى الغنوشي،www.Ikhwan. net، ٢٠٠٤/١٠/٥.

([٤٠])(باردو): مدينة على بعد ٤ كم عن تونس كان فيها سراي الباي.

([٤١])شذى عذرة ، معاهدة باردو بين فرنسا وتونس الثاني عشر من ايار ١٨٨١،مجلة تاريخ العرب والعالم، دار النشر العربية، العدد ١٠١-١٠٢،(بيروت،١٩٨٧)ص ٥٦؛ أحمد أبن عامر، تونس عبر التاريخ منذ أقدم العصور الى اعلان الجمهورية ،مكتبة النجاح، (تونس،١٩٦٠) ،ص٣٠٠ ؛ محمد أسعد طلس ،عصر الانبعاث، دار الاندلس ،بيروت، ١٩٦٣،ص٩٠ .

([٤٢])شذى عذرة معاهدة المرسى بين فرنسا وتونس ٨ تموز ١٨٨٣، مجلة تاريخ العرب والعالم، دار النشر العربية ، العدد ١٠٣-١٠٤، (بيروت،١٩٨٧)، ص٢٣ .

البلدان التي استعمرتها وسيطرة عليها يضاف الى ذلك رغبة المانيا ورئيس وزرائها بسمارك الذي حاول ابعاد فرنسا عن الساحة الاوربية وفكرة الاخ بالثأر لخسارتها منطقة الازلاسواللورين عام ١٨٧٠ فيما عرف (بحرب السبعين).

فالمحتل والمستعمر الفرنسي لم يأتي من فراغ او مرسلاٍ قواته العسكرية مباشرةً الى ارض تونس بل سعى الى اغراقها بالقروض والديون الخارجية ليستحوذ على مقدراتها الاقتصادية مستغلاً مشكلة الاقليات مطالباً الحكومة التونسية بالعدالة والمساواة متفقاً مع بعض القبائل التي تقطن الحدود بين الجزائر وتونس ليثيروا القلاقل ويعطوا الحجة لفرنسا لبسط الامن ،فضلاً عن ضعف وعدم كفاءة الباي والنخب الحاكمة التي كانت تسيطر على مقاليد الحكم في تونس فكان هم الباي كيف يمكنه جعل الحكم وراثياً في اسرته اما الوزير مصطفى اسماعيل ،فقد استغل الفرنسيون جهله وحبه للسلطة والمال فكان يتصور انه بمجرد دخول تونس تحت الحماية الفرنسية فان فرنسا لم تنسى معروفه ويصبح مباشرة بایاً لتونس ،فاتفق مع قنصل فرنسا على شروط ادخال تونس تحت الحماية الفرنسية مقابل خمس ملايين فرنك فتم احتلال البلاد عام ١٨٨١.

المصادر المستخدمة في البحث:

(١)أحمد أبن عامر، تونس عبر التاريخ منذ أقدم العصور الى اعلان الجمهورية ،مكتبة النجاح، (تونس،١٩٦٠).

(٢) احمد بن ابي الضياف، اتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان، منشورات الجامعة التونسية،ج٤، (تونس،١٩٧١).

(٣)احمد الطويلي، دراسات ووثائق عن الحركة الاصلاحية بتونس، سعيدان للطباعة والنشر، (تونس،١٩٩٢).

(٤)احمد عبد الوهاب عبد الرحمن، تاريخ العرب الحديث (١٧٩٨- ١٩٢٠) دراسة في التنافس الاوربي على

(٥)أحمد عزت عبد الكريم وآخرون، العالم العربي في العصر الحديث، طبع ونشر دار سعد، (القاهرة ،د.ت).

(٦)بشير بو علي ،محاضرات في تاريخ الحركة الوطنية التونسية ،د.م، (د.ت)ص١٨.

(٧)ب سلامة، ثورة بن غذاهم، دار الكتب التونسية للنشر، (تونس،١٩٦٧).

(٨)البشير الحاج ابن عثمان الشريف، اضواء على تاريخ تونس الحديث ١٨٨١-١٩٢٤،دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، (تونس، د.ت).

(٩)جلال يحي ،العالم العربي الحديث، جامعة اسيوط، (مصر،١٩٦٦).

(١٠) حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس ،دار الكتب العربية الشرقية، (تونس، د.ت).

(١١)الحبيب ثامر ،هذه تونس، مكتبة المغرب العربي،(القاهرة،١٩٤٨).

(١٢)زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،(بيروت،١٩٧٥).

(١٣)شذى عذرة ، معاهدة باردو بين فرنسا وتونس الثاني عشر من ايار ١٨٨١،مجلة تاريخ العرب والعالم، دار النشر العربية، العدد ١٠١-١٠٢،(بيروت،١٩٨٧).

(١٤)شذى عذرة معاهدة المرسى بين فرنسا وتونس ٨ تموز ١٨٨٣، مجلة تاريخ العرب والعالم، دار النشر العربية ، العدد ١٠٣-١٠٤، (بيروت،١٩٨٧) .

(١٥)صلاح العقاد ، المغرب العربي الجزائر –تونس-المغرب الاقصى، مكتبة الانجلو المصرية ،(القاهرة ،١٩٦٩).

(١٦)صالح الدربدي، المسيرى الكبرى، دار بو سلامة للطباعة والنشر، (تونس، د.ت).

(١٧)صلاح الدين التلالي ،تونس الجديدة مشاكل ونظريات، عربه محمد السويس ،دار النشر بو سلامة،(تونس، ١٩٥٩).

(١٨)الطاهر عبدالله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة ١٨٣٠-١٩٥٦،دار دار الطليعة ، (بيروت،١٩٧٤).

(١٩)عبد القادر جغلول ،الانتلجانسيا في المغرب العربي ،دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع،(بيروت،١٩٨٤).

(٢٠)علي المحجوبي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تعريب عمر بن ضو و حليمة فرفوري ، سراس للنشر،(تونس،١٩٨٦).

(٢١)علي سلطان، تاريخ العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٨، منشورات مكتبة طرابلس العالمية ، (طرابلس، د.ت).

(٢٢)عبد الكريم محمود غرايبة، تاريخ العرب الحديث، الاهلية للنشر والتوزيع،(بيروت،١٩٨٤).

(٢٣)عبد المجيد المطوي ،تونس وفرنسا، مكتبة النجاح ،(تونس، ١٩٥٧).

(٢٤)عصمت برهان الدين عبد القادر، العرب والمسالة الدستورية في الدولة العثمانية ١٨٧٦-١٩١٤، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدم الى مجلس كلية الاداب، (الموصل،١٩٩٥).

(٢٥)لوتسكي ،تاريخ الاقطار العربية، دار التقدم، (موسكو،١٩٧١).

(٢٦)محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس ، سراس للنشر ،(تونس، ١٩٩٣).

(٢٧)معن زيادة، اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ،لخير الدين باشا ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (بيروت،١٩٨٥).

(٢٨)محمد علي داهش دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب(دمشق،٢٠٠٤).

(٢٩)محمد المرزوقي ،صراع مع الحماية ، دار الكتب الشرقية، (تونس ،١٩٧٣).

(٣٠)محمد أسعد طلس ،عصر الانبعاث، دار الاندلس ،(بيروت، ١٩٦٣).

(٣١)الموسوعة العربية الميسرة ،اشراف محمد شفيق، دار القلم (القاهرة، ١٩٦٥)،ص١٦٤.

(٣٢)محمد يوسف نحلة ،تطور الحركة الوطنية في تونس ١٨٨١-١٩٥٦، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى معهد الدراسات القومية والاشتراكية،(بغداد،١٩٨١).

(٣٣)نهاية محمد صالح الحمداني، الحركة الوطنية التونسية ١٨٨١-١٩٢٠، دار المعتز للنشر والتوزيع،(عمان،٢٠١٦).

(٣٤)نيقولا زيادة ، تونس في عهد الحماية من ١٨٨١-١٩٣٤، معهد الدراسات العربية العالمية،((مصر، ١٩٦٣).

(٣٥)الهادي التيمومي، تونس والتحديث، دار محمد علي للنشر، (تونس،٢٠١٠)،ص١٧٧.

البلاد العربية، دار القلم، (الامارات،١٩٨٧).

(٣٦)يحي أبو زكريا ،الحركة الاسلامية في تونس من الثعالبي الى الغنوشي،www.Ikhwan. net، ٥/١٠/٢٠٠٤.